المجلد : 12/ العدد : 02 / الشهر: أوت/ السنة: 2020 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

الاستيطان والأقلية الأوروبية في الجزائر
Settlement and the European minority in Algeria

د. داعي محمد*

تاريخ الإرسال: 25/ 07 /2020	تاريخ القبول: 26/ 07/ 2020	تاريخ النشر: 01 / 08 / 2020

ملخص: أجمعت اللجنة الإفريقية التي زارت الجزائر سنة 1833 على مواصلة الاحتلال وعدم التخلي عن الطريدة لأن الجزائر تقدم لفرنسا منافع كثيرة في الميادين الاقتصادية والسياسية والحربية، فهي سوق لترويج بضائعها ومنفى للمشوشين من أبنائها ومركز إستراتيجي تستعمله في حروبها وفي نشر سلطانها على البحر الأبيض المتوسط.

الكلمات المفتاحية: الاستعمار، الاستيطان، الأقلية الأوروبية، النظام السياسي.

Summary :

The African Committee that visited Algeria in 1833 unanimously agreed to continue the occupation and not abandon the game because Algeria offers France many benefits in the economic, political and military fields, as it is a market for the promotion of its goods and exile for the disgraced of its sons and a strategic center that it uses in its wars and in spreading its authority over the Mediterranean..

Keywords : Colonialism, colonization, European minority, political system.

* أستاذ محاضر "أ"، قسم العلوم الإنسانية، جامعة الدكتور مولاي الطاهر – سعيدة.

المجلد : 12/ العدد : 02 / الشهر: أوت/ السنة: 2020 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

مقدمة:

لقد أدركت فرنسا الاستعمارية منذ البداية أن هدفها لا يمكن تحقيقه عن طريق الجيش الفرنسي وحده، خاصة وأن التجربة الإسبانية في احتلال السواحل الجزائرية ماثلة أمام أعين الساسة الفرنسيين، حيث بقي الإسبان لأكثر من ثلاث قرون معزولين في حاميات متناثرة على السواحل وعاجزة عن فرض سيطرتها على كامل التراب الجزائري، الشيء الذي سهل فيما بعد اقتلاعها وطردها نهائيا من البلاد لذلك أدركوا أنه بدون مستوطنين فرنسيين وأوروبيين مدنيين يدعمون الجيش الفرنسي فإن هذا التواجد لا يمكن أن يستقر بأي حال من الأحوال[1].

لذلك أجمعت اللجنة الإفريقية التي زارت الجزائر سنة 1833 على مواصلة الاحتلال وعدم التخلي عن الطريدة لأن الجزائر تقدم لفرنسا منافع كثيرة في الميادين الاقتصادية والسياسية والحربية، فهي سوق لترويج بضائعها ومنفى للمشوشين من أبنائها ومركز إستراتيجي تستعمله في حروبها وفي نشر سلطانها على البحر الأبيض المتوسط[2]. وهو ما عبر عنه الجنرال شارل ديغول عبر مذكراته معترفا ما أصبحت تمثله الجزائر لفرنسا قوله: " لقد كانت الجزائر تحتل في حياتنا القومية أهمية لا مجال للموازنة بينها وبين بقية البلاد التي كانت تابعة لنا" ليضيف قوله: " فقد غمرنا الفرح لأننا أصبحنا سادة أرض كلفتنا الكثير، تعزز موقعنا في إفريقيا والبحر الأبيض المتوسط بفضل الجزائر"[3]. وعليه كان الهدف الأساسي والبعيد هو تحقيق "الجزائر الفرنسية" كما يقول أبو القاسم سعد الله في كتابه أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر: " بوزنها الديموغرافي كامتداد لفرنسا جنوب البحر المتوسط، والعملية لم تكن ملئ الفراغ، لقد كان على قادتهم العسكرية إفراغ الجزائر ديموغرافيا حتى تسهل عملية المصادرة"[4].

---

[1] فرحات عباس، ليل الاستعمار، ترجمة، أبو بكر رحال، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2005، ص:93.

[2] - أحمد باي وحمدان خوجة وبوضربة، مذكرات ، ترجمة، محمد العربي الزبيري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1973، ص: 130.

[3] - شارل ديغول، مذكرات الأمل، ترجمة، سموحي فوق العادة، مراجعة، أحمد عويدات، منشورات عويدات، الطبعة الأولى، لبنان، 1970، ص: 99.

[4] أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر،الجزء الثاني، المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر، 1986، ص:89.

المجلد : 12/ العدد : 02 / الشهر: أوت/ السنة: 2020 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

إعمار الأرض بالأوروبيين كان هو الهدف الأساسي من فرنسة الجزائر، وعليه اتجه النظام الاستعماري ببذل كل ما في وسعه لتقطيع أوصال المجتمع المسلم، فجرده من سلاحه وممتلكاته لكي يجعل منه أداة في خدمة رفاهية الأوروبي[1].

هذا الأوروبي الذي يصف هدفه حمدان بن عثمان خوجة في كتاب "المرآة" قوله: "لقد كان أحد أقربائي يملك جنانا في دار الاستحمام أنيقة البناء وكانت هذه الملكية من جملة الأملاك المحتلة عسكريا، ولما رأى بعضهم تلك الأبهة وتلك الزينة، ظنوا أن الدار تحتوي على كنز دفين، لأن معظم السادة الأوروبيين لا يحلمون إلا بالكنوز، وهكذا سارعوا إلى الحفر وتفتيش الأرضيات وتهديم بعض الحيطان التي شك في أنها تخفي بعض الثروات ولما لم يجدوا شيئا باعوا المواد التي كان لها ثمن لجمع كمية من المال[2]. وعليه يتبين أن سياسة الاستيطان كانت الهم الأكبر للحكومات الفرنسية، والعناصر الهدامة من الفرنسيين تطالب بالحصول على تنازلات مجانية حيث بلغ عدد طلباتها أكثر مائة ألف[3].

اعتمدتها واعتبرتها أساس نجاح استعمارها، من أجل إحداث قوة سياسية لنظام حكم ومجال سيادة على حساب هذا الشعب، الأمر الذي يؤدي إلى ظهور نظام سياسي جديد يتطور قهراً ووفقا لرغبة المستوطنين لا وفق التطور الطبيعي والديمغرافي للسكان الأصليين"[4]. حيث لجأت الحكومة الفرنسية لوسائل غير طبيعية لإرسال المستوطنين إلى الجزائر[5]، فأصدرت قرار 21 سبتمبر 1830 يسمح بمصادرة أملاك الوقف والبايلك قصد توزيعها على الوافدين الأوروبيين[6].

وما كادت سنة 1830 تصل إلى نهايتها حتى أصبحت الأراضي الزراعية تؤخذ من أيادي الفلاحين الذين أبعدوا إلى المناطق الجبلية القاحلة الجرداء، والأراضي الخصبة التي تقع في السهول وعلى مجاري

---

[1] - فرحات عباس، تشريح حرب، ترجمة، أحمد منور، الجزائر، 2010، ص: 10.

[2] - حمدان بن عثمان خوجة، المرآة، تقديم وتعريب وتحقيق، محمد العربي الزبيري، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2005، ص: 264.

[3] - شارل روبير أجيرون، تاريخ الجزائر المعاصرة، ترجمة، عيسى عصفور، ديوان المطبوعات الجامعية، الطبعة الثانية، الجزائر، 1982، ص: 55.

[4] - صلاح العقاد، المغرب العربي في التاريخ الحديث والمعاصر (الجزائر، تونس، المغرب الأقصى)، الطبعة السادسة، مكتبة الأنجلومصرية، 1993، ص: 146.

[5] - صلاح العقاد ، مرجع سابق، ص: 133.

[6] - Djillali Sari, La dépossession des Fellahs 1830- 1962, SNDE, Alger, 1975, p : 9.

المجلد : 12/ العدد : 02 / الشهر: أوت/ السنة: 2020 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

المياه يمتلكها المستوطنون الأوروبيون [1]، وبذلك عاشت الجزائر أبشع استعمار استيطاني عرفه التاريخ[2]، أخذ شكلا متطورا ساعد على إبراز كل سلوكات الاستعمار التقليدي وجرائمه[3].

تدفقت سيول هجرة الأوروبيين إليها لتوزع عليهم ملايين من هكتارات الأراضي العربية المصادرة ولتبنى لهم القرى الفلاحية وتقدم لهم القروض السخية للاستغلال[4].

وبذلك وفد الكثير من المغامرين والباحثين على الربح السريع، وزادت فرنسا إصرارا على الدفع بزيادتهم ليرفع عددهم من 35700 نسمة سنة 1840 إلى 130700 نسمة سنة 1850[5].

استقبلت مهاجرين من كورسيكا وصقلية ومالطا وسلمت لهم أراضي، ليتحصلوا بعدها على قروض دفعتهم لشراء أراضي من فلاحين أصابهم الفقر، زرعوها كروما وتبغا وبرتقالا وقمحا وغيرها... [6] وغيرها...[6] في ظل رفض الأهالي الجزائريين توسيع الملكية الاستعمارية عن طريق ثوراتهم المسلحة، فشكلوا تهديداً للوجود الفرنسي بالجزائر، لذا وجب تصفيتهم أو على الأقل جعلهم في وضعية أقل قيمة بالنسبة للسكان الأوروبيين[7].

فجعلوا من الرجال الأهالي قطعانا كبيرة موزعة بالقوة فوق أراضي معينة حسب رغباتهم من أجل الإسراع في عملية الاستيطان وبصفة أدق يقول أوليفي لوكو غرانميزون: " إنها حرب عرقية

---

[1] - رابح تركي، التعليم القومي والشخصية الوطنية 1931- 1956، دراسات تربوية للشخصية الجزائرية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص: 86.

[2] - محمد العربي الزبيري، الثورة الجزائرية في عامها الأول، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص: 53.

[3] - مصطفى طلاس، بسام العسلي، الثورة الجزائرية، الطبعة الأولى، دار الشورى، بيروت، 1982، ص: 59.

[4] - عبد الرحمن بن إبراهيم العقون، الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر، الفترة الأولى، 1920- 1936، الجزء الأول، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص: 50.

[5] - أندري نوشي، أندري جوليان، إيف لاكوست، ، الجزائر بين الماضي والحاضر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984، ص: 335.

[6] - زدرافوبيكار، الجزائر، شهادة صحفي يوغسلافي عن حرب الجزائر، ترجمة، فتحي سعيدي، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية،الجزائر، 2011، ص: 374.

[7] - كمال كاتب، أوروبيون أهالي ويهود الجزائر 1830- 1962، تمثيل وحقائق، ترجمة، رمضان زبدي، دار المعرفة، الجزائر، 2011، ص: 269.

المجلد : 12/ العدد : 02 / الشهر: أوت/ السنة: 2020 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

عنصرية بوسائل أخرى ستنتهي بتغيير الخارطة البشرية للجزائر [1]، لأنهم هم الحلفاء الطبيعيون للاستعمار، هم رأس الحربة بالنسبة له، لذلك فإن فرنسا الاستعمارية في عهد الجمهورية لم تبخل عليهم بالامتيازات على حساب الشعب الجزائري، بتشجيعها الاستيطان بكل الوسائل، تقديم الأرض مجانا، بناء المراكز... [2] جله تم في ظل تعيين الجنرال بيجو حاكما عاما على الجزائر فيفري 1841 حتى سبتمبر 1847 وجد الدعم من الإدارة الاستعمارية للاحتفاظ بالمستعمرة. فارتفع حجم الأموال المخصصة للحرب على المقاومة الوطنية، ودعم جيشه حتى من الأهالي في حدود 10 آلاف لذلك طبق حرب إبادة على الجزائريين وشجع الاستيطان في آن واحد لذلك اكتسح الكولون على مجموع الأراضي التي كانت للأمير [3].

رغم المقاومة الجزائرية وعدم استقرار الجنرال بيجو على الطريقة التي يسلكها للاستيطان، إلا أنه استطاعت فئة من الأوروبيين أن تقيم في الجزائر ما بين الفترة الممتدة ما بين 1830- 1851 والتي توزعت حسب الجدول التالي: [4]

السنة	الجزائر	وهران	قسنطينة	المجموع
1833-1844	53140	11427	10853	75420
1851	37081	46820	27854	131578

مع مجيء نابليون الثالث عرفت العملية في عهده توقف الحكومة على منح الأراضي وهو ما لم يكن في صالح الجزائريين وإنما لصالح الشركات المالية الكبرى بحيث كان على حساب الاستيطان الصغير [5]. ورغم ما بدا على العملية من تراجع وفشل لولا ضراوة الإدارة الاستعمارية ما كان ليكتب

[1] - أوليفي لوكو غرانميزون، الاستعمار الإبادة، تأملات في العرب والدولة الاستعمارية، ترجمة، نورة بوزبدة، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2007، ص: 72.

[2] - عباد صالح، المعمرون والسياسة الفرنسية في الجزائر 1870- 1900، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984، ص: 68.

[3] - Charles Robert Agéron, Histoire de l'Algérie contemporaine, 1830- 1973, Que sais-je, paris, 1974, p : 18.

[4] - سيد أحمد سليمان، سياسة فرنسا في توطين الأوروبيين في الجزائر 1830- 1887، رسالة دبلوم دراسات، وهران، 1976، ص: 32.

[5] - A.W.O., Evénement politique 1833- 1879, série B, sous série B7.

المجلد : 12/ العدد : 02 / الشهر: أوت/ السنة: 2020 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

لإقامة المعمرين والتوسع المكثف للأراضي الأوروبية، لقد أعدت الإدارة العليا ووسعت مرات كثيرة المزارع وأحاطت بالمناطق الجبلية أبراج مراقبة بداية من سنة 1843 لإضعاف قوات المقاومة منها للأمير عبد القادر[1].

تشغيل الكولون من ذوي الاختصاص في الفلاحة، ليهجر فرنسيو جنوب فرنسا محل مواطنيهم الذين ما استطاعوا التأقلم والتجذر، لكن الإسبان والإيطاليين والمالطيين كانوا أكثر تحضيراً للأوضاع[2]. لذلك شكل الاستيطان وتوسع في المناطق الساحلية والداخلية للجهة الغربية وبشكل كبير حيث استولى المستوطنون على مساحات شاسعة من الأراضي [3]، كان للإسبان فيها الجزء الأكبر، مثلوا الغالبية من السكان في القطاع الوهراني، سجلت الإحصائيات سنة 1911 وجودهم بـ93 ألف نسمة[4]، استوطنوها لقربها من الشواطئ الجنوبية لإسبانيا كثيرا ما حافظوا على خصوصياتهم وعاداتهم نزحوا من أليكانت وموريسا وفالونسيا[5].

وبداية من سنة 1841 بدأ المستوطنون يستولون على مختلف المناطق خاصة بعد تفكيك عاصمة الأمير عبد القادر، وبهذا تمكن المستوطنون مع تثبيت وجودهم والعمل أكثر من أجل تجريد الجزائريين وسلب أراضيهم الزراعية[6]، لذلك أقدم الجنرال بيجو على توسيع دائرة الاستيطان حيث وفي وفي خطاب له أمام النواب جانفي 1840 أكد على ضرورة تأسيس مقاطعة فرنسية في الجزائر يسيطر فيها المعمرون الفرنسيون[7]، كما أضاف قائلاً: " يجب أن يقيم الفرنسيون حيثما وجدت المياه الغزيرة والأراضي الخصبة بدون اهتمام بحق ملكية الأرض التي يجب أن توزع على الأوروبيين، أن تصبح هذه

---

[1] - الجيلالي صاري، محفوظ قداش، المقاومة السياسية 1900- 1954، الطريق الإصلاحي والطريق الثوري، ترجمة، عبد القادر بن حراث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1987، ص: 141.

[2] - جمال خرشي، الاستعمار وسياسة الاستيعاب في الجزائر 1830- 1962، ترجمة عبد السلام عزيزي، مراجعة وإشراف مصطفى ماضي، دار القصبة، الجزائر، 2009، ص: 182.

[3] - Ahmed Henni, La collaboration agraire et le sous développement en Algérie, SNED, Alger, 1982, p : 21.

[4] - Bernart Tricot, Les sentiers de la paix, Algérie 1950- 1962, plan, paris, 1972, p.p : 436- 437.

[5] - Pierre Goinard, Algérie l'œuvre française, Edition, paris, 1984, p.p : 97- 98.

[6] - Benjamin Stora, Histoire de l'Algérie contemporaine 1830- 1889, Alger, 2006, p.p : 27- 28.

[7] - A.W.O., dossier 14073 événement politique 1833, 1879, série B, sous série B7.

المجلد : 12/ العدد : 02 / الشهر: أوت/ السنة: 2020 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

الأراضي الخصبة من أملاكهم الشخصية" [1]، وهو من اشتهر عنه قوله: " أن الفتح عملية مؤقتة لا تكسب صفة الدوام إلا بالاستعمار، تثبيت العنصر الأوروبي في البلاد المفتوحة [2]. مؤكدا وبتاريخ 22 فيفري 1849 على أن الغزو بدون استيطان سيكون عقيما[3].

وعليه دعا بإعطاء صلاحيات جديدة وكبيرة للسلطات العمومية قصد الإسراع بخلق الظروف المواتية للاستيطان، بتوجيه الراغبين للقدوم اتجاه الجزائر، تمويل مشاريعهم، تنظيم حياتهم كما يرى "أن الدولة تقوم بدور تأسسي بتكفلها طرد العرب من أراضيهم وتهيئتها لاستقبال القادمين من أوروبا"[4].

ومع تعيين الجنرال كلوزيل وجه كلمة في الجزائر بمناسبة تعيينه كحاكم عام قائلاً: "عليكم أن تعلموا أن هذه القوة العسكرية التي هي تحت إمرتي، ما هي إلا وسيلة ثانوية، ذلك أنه لا يمكن أن تغرس العروق هنا إلا بواسطة الهجرة الأوروبية فقط [5]. طريقته في التوطين جعلت من الجزائر "مستودع التسول لأوروبا" حيث شجع المتشردين من الأوروبيين على الإقامة بالجزائر [6]. فاعتمدت الدعاية كوسيلة للدفع بالعملية للنجاح فوزعت مناشير فيها من الإغراءات ومنها منح تسهيلات لكل فرنسي أو أوروبي، العبور المجاني له ولذويه، الاستفادة من مساعدات، مأمن مؤقت، إعانات خاصة من 300 حتى 600 فرنك، دعم مجاني بالنباتات والحبوب، قروض مؤقتة... وبذلك فتح المجال واسعا للسويسريين والألمان والإرلنديين..."[7].

---

[1] - عمار عمورة، موجز في تاريخ الجزائر، الطبعة الأولى، الجزائر، 2002، ص: 118.

[2] - صلاح العقاد، مرجع سابق، ص: 134.

[3] - حياة ڤنون، دور ومكانة الإسبان في ترسيخ الاستعمار الفرنسي في الغرب الجزائري 1830- 1900، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة وهران، 2003، ص: 38.

[4] - أوليفي لوكو غرانميزون، مرجع سابق، ص: 385.

[5] - الزبير سيف الإسلام، تاريخ الصحافة في الجزائر، الجزء الأول، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1971، ص: 36. أنظر: صالح عباد، مرجع سابق، ص: 06.

[6] - سيد أحمد سليمان، مرجع سابق، ص: 30.

[7] - شارل أنري فافرود، الثورة الجزائرية، ترجمة كابوية عبد الرحمن، سالم محمد، دحلب، الجزائر، 2010، ص:29.

المجلد : 12/ العدد : 02 / الشهر: أوت/ السنة: 2020 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

الجنرال "لاموريسيار Lamoricière" هو الآخر انضم إلى صف بيجو، مصرحا: "يلزمنا معمرون أوروبيون، إن مجموعة من سكان مسيحيين فلاحين بإمكانها لوحدها أن تحملنا على الأمل بالاستطاعة يوما على بقائنا"[1].

الجنرال "دو فيفييه De Vivier" أكبر عقيد ماريشال سنة 1939 يقترح رعاية السلطة لهم بتسليحهم ومنحهم الأراضي والمساكن وإعفائهم من كل الضرائب لمدة أربعين سنة"[2]. تأكد ذلك مع الماريشال "بريقوست بارادول" سنة 1870 والذي صرح قائلاً: " ليس علينا أن نجعل من الجزائر ميدان لتدريب الجيش الفرنسي عسكريا، بل علينا أن نجعل منها أرضا فرنسية يقطنها الفرنسيون، يملكونها، يزرعونها ويتدبرون شؤونها"[3].

وبذلك اتضح لدى الساسة الاستعماريين أن الإمساك بزمام البلد وفرض الهدوء على السكان هما أمران لا يمكن تحقيقهما واستمرارهما إلا بتكاثر المستوطنين[4]. الحقيقة التي وقف عليها أوليفي لوكو غرانميزون: " أن الجيش وحده لن يتمكن من تحقيق الاستقرار، يجب أن يدعم بحضور العديد من المعمرين الأوروبيين لكي تخمد كليا المقاومة المحلية"، معتمدا على ما صرح به توكفيل: " أن تتدعم القوة العسكرية بالقوة المدنية، كقاعدة صلبة للعمليات العسكرية التي ستقل تكلفتها وتزداد فعاليتها"[5].

وبذلك أصبحت الأمور معلقة على هؤلاء المستوطنين الأجانب، وهذا شكل من أشكال الاستعمار المعروف، استخدام الأقلية الأوروبية الوافدة ضد الأغلبية المحلية[6]. وما بين 1844- 1846 أصدرت الإدارة الاستعمارية لائحتين، الغاية منها القضاء على المضاربات وتوسيع مساحات الأراضي الممنوحة

---

[1] - نفسه، ص: 45.

[2] - أوليفي لوكر غرانميزون، مرجع سابق، ص: 375.

[3] - مصطفى طلاس، بسام العسلي، مرجع سابق، ص.ص: 60- 61.

[4] - نفسه، ص: 21.

[5] - أوليفي لوكو غرانميزون، مرجع سابق، ص.ص: 135- 136.

[6] - حياة ڤنون، مرجع سابق، ص: 35.

المجلد : 12/ العدد : 02 / الشهر: أوت/ السنة: 2020 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

للمعمرين[1]، في إطار ما حث عليه طوكفيل النظام الاستعماري ونجاحه: " يجب حث باقي الأوروبيين على القدوم هنا، بحيث سيساهم عددهم ونظامهم على إبعاد "الأهالي""[2].

اتسمت اهتمامات الفرنسيين بملكية الأراضي أكثر من خلال التشريعات العقارية الصادرة ما بين 1844 إلى غاية 1929[3]، ففي الجهة الغربية استحوذ الكولون على أراضي واسعة خاصة على المناطق الساحلية يذكر "أحمد هني" إحصائيات قوله: " حصل "سانت مور St. Mour" على مساحة 21600 هكتار و"أرناست Ernest" على 250 هكتار بالدار البيضاء، و"بونفور bon fort" على 14800 هكتار بمسرغين كما تحصلت شركة "لوفر Laufre" على 1500 هكتار بمنطقة الأندلس Les Andalouse[4]. دعمتها بقانون 19-09-1848 والذي على إثره تم تأسيس عدد من المراكز الاستيطانية منها 12 مركزا بالجزائر، 21 في وهران و 9 مراكز بقسنطينة، مع تقديم الإدارة الاستعمارية بعض المساعدات كتوزيع البذور والآلات الفلاحية وبعض أعمال الري[5].

لذلك فإن الحكم الجمهوري عمل بكل جهد لترضية رغبات المعمرين وذلك بصدور مرسوم 19 سبتمبر 1848 يقضي بتخصيص خمسين مليون فرنك لمساعدة المهاجرين المدنيين إلى الجزائر، خمسة ملايين تصرف سنة 1848 وعشرة ملايين تخصص لسنة 1849 وخمسة وثلاثون مليون للسنوات التي تأتي عقب ذلك[6]. وهو ما جعلها تنمو على أن وصل عددها 87 تعاونية فلاحية في جهة وهران، ليصل ما ما مجموعها سنة 1960 إلى 211 تعاونية[7]. ذلك ما يثبت قوة الاستيطان الأوروبي على عمالة وهران وما وما يؤكد ذلك الجدول الإحصائي لتعداد الجزائريين والأجانب حسب العمالة لسنة 1848.[8]

---

[1] - أندري نوشي، أندري جوليان، إيف لاكوست، مرجع سابق، ص: 333.

[2] - أوليفي لوكر غرانميزون، مرجع سابق، ص: 139.

[3] - بن داهة عدة، الاستيطان والصراع حول ملكية الأرض إبان الاحتلال الفرنسي للجزائر 1830- 1962، الجزء الأول، وزارة المجاهدين، 2008، ص: 316.

[4] - Ahmed Henni, op.cot, p : 21.

[5] - أندري نوشي وآخرون، مرجع سابق، ص: 383

[6] - إبراهيم لونيسي، الفكرة الاندماجية في الجزائر 1830- 1945 بين الطرح الفرنسي والموقف الجزائري، مجلة الرؤية، السنة الثالثة، الجزائر، العدد، 3، السداسي الأول، 1997، ص: 111.

[7] - الجيلالي صاري، محفوظ قداش، مرجع سابق، ص: 125.

[8] - A.W.O., document algériens, N°24 du 30-04-1949.

المجلد : 12/ العدد : 02 / الشهر: أوت/ السنة: 2020 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

العمالة	الجزائريون	الأجانب	المجموع
وهران	1535565	431579	1967144
الجزائر	2354403	374386	2728789
قسنطينة	2912865	178293	3091158
الجنوب	799276	14983	814259
المجموع	7602109	999241	8601350

تلك السلسلة من القوانين كانت أقوى على القطاع الوهراني حيث تم تشتيت بنية العشائر والقبائل بصورة أسرع وأشمل بفصل المقاومة لذلك دعمت الأقلية بالأموال والتجهيزات، خصصت لها ميزانية وصلت حوالي 2242000 فرنك[1].

ذلك الذي جعل عدد بلديات عمالة وهران يتوسع حتى ان وصل ما بعد الحرب العالمية الثانية إلى 139 بلدية وهو ما يوضحه الجدول الذي يقسم عدد بلديات عمالة وهران[2]:

المقاطعة	عدد البلديات
وهران	48
معسكر	17
مستغانم	27
سيدي بلعباس	23
تيارت	11
تلمسان	13
المجموع	139

[1] - الجيلالي صاري، الأرياف الجزائرية، مجلة الثقافة، العدد، 83، أكتوبر 1984، ص: 195.

[2] - A.W.O., document algériens, N°26 du 09-08-1949.

المجلد : 12/ العدد : 02 / الشهر: أوت/ السنة: 2020 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

وبعد القضاء على ثورة المقراني والشيخ الحداد تحقق للكولون الانتصار الذي ومن يومها ستصبح إرادتهم في إقامة "جمهورية فرنسية صغيرة' لا وزن فيها إلا للأقلية الأوروبية دون غيرها [1]. كما ساعدتهم في ذلك المراسيم ومنها مرسوم 1 نوفمبر 1844 والذي أثبت شرعية ما تملّكه الكولون من قبل وصادق على العقود العقارية السابقة [2]. جمعتهم الإدارة في قرى محصنة ومزودة بوسائل دفاعية ونظمتهم في شكل ميليشيات أشرف عليها ضابط لتلقينهم العادات العسكرية، إتباع قواعد للحراسة والدفاع عن أمنهم، إجراءات تدل على عسكرة المجتمع الاستعماري لأن مقاومة الأهالي فرضت تسليح شعب المعمرين[3].

فأصبحت الأقلية الأوروبية يد ثمينة يرتكز عليها الجيش حيث سيصبحون عيون وآذان السلطة الاستعمارية اليقظة والمتحمسة، توزيعهم على الأراضي المحتلة كان سنداً هاما للجيش الذي سيتعزز بهم، وبالميليشيات التي أصبحت منظمة والدخول إليها إجباري على كل فرنسي بين سن 18- 55 سنة[4].

تجسيد لتصور "طوكفيل" في الدفاع عن الحكم وتنظيمه والذي ساقه أوليفي لوكو غرانميزون قوله: " مما يسمح للدولة الاستعمارية التحرك السريع ضد القبائل العربية والتي هي قائمة دوما على محاربتنا... فعلى الجيش والمعمرين أن يبقوا مدججين بالأسلحة للدفاع عن أنفسهم ومكتسباتهم [5]. ومع الفترة الممتدة ما بين 1873- 1927 صارت قوانين 26 جويلية 1873 و22 أفريل 1877 حيث استحوذ الأوروبيون على 400000 هكتار، هو استنتاج وصل إليه بيجو ما كانت تمثله الأرض الفلاحية للمستوطن لذلك صرح قائلا: " لا بد من قهر الأهالي واستعمار هذه البلاد كاملة"[6].

وعليه فقد نشطت فرنسا وبقوة عملية الهجرة الأوروبية للجزائر بتقديم كل التسهيلات والإمكانيات والدعم الضروري [7]، يذكرها شارل روبير أجيرون: "بيت للسكن، محاريث، ثيران للحرث،

---

[1] - شارل روبير اجيرون، مصدر سابق، ص: 79.

[2] - بن داهة عدة، مرجع سابق، ص: 206.

[3] - أوليفي لوكو غرانميزون، مرجع سابق، ص: 136.

[4] - نفسه، ص.ص: 136- 137.

[5] - نفسه، ص: 139.

[6] - Benjamin Stora, op.cit., p : 27.

[7] - يحي بوعزيز، سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية الجزائرية 1830- 1954، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دون تاريخ، ص.ص: 8- 9.

المجلد : 12/ العدد : 02 / الشهر: أوت/ السنة: 2020 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

البذور، راتب يوميا إلى جانب تعهد بإنجاز جميع الأشغال ذات المنفعة العمومية واللازمة [1]. فربطت كل مراكز المعمرين بالطرق الوطنية الكبرى [2]، وأنشأت البنية التحتية التي تستجيب لحاجاته كالطرق والمرافئ والسكك الحديدية والتلغراف والتلفون والمدارس والمستشفيات، لم يكن للأهلي فيها أي نصيب[3]. بما في ذلك تدعيم الإنتاج الحيواني والغابي مع توفير الوسائل الضرورية لرفع من الإنتاج خاصة الأعلاف المقدمة والتي تستفيد منها التعاونيات الفلاحية التابعة للكولون[4].

وبذلك تضاعف عددهم في ظل حكم الجمهورية الثالثة سنة 1870 وهو ما يوضحه الجدول الآتي[5]:

السنة	العدد
1870	245500
1881	376800
1890	500900
1900	610000
1911	792000
1921	400791
1936	946000
1948	922300
1958	948000

[1] - شارل روبير أجيرون، مصدر سابق ، ص: 197.

[2] - فرحات عباس، الشاب الجزائري، من المستعمرة إلى المقاطعة، ترجمة، أحمد منور، الجزائر، 2010، ص: 165.

[3] - فرحات عباس، تشريح حرب، مصدر سابق، ص: 11.

[4] - عبد اللطيف بن أشنهو، تكوين التخلف في الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، دون تاريخ، ص: 443.

[5] - René Anus, L'eau en Algérie, O.P.U., 1985, p : 32.

المجلد : 12/ العدد : 02 / الشهر: أوت/ السنة: 2020 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

وعليه نستنتج ومن التطور الملحوظ الذي أخذ منحى سريع بعد 1870 حيث جاء تصريح الأميرال "دو فيدو" على إثر انتهاء ثورة 1871، ضرورة ضرب هؤلاء المتمردين من القبائل وإخراجهم من جميع الأراضي لإيجاد مجال للمستوطنين والسيطرة على الأراضي التي هي بين أيديهم [1]. وعليه يتضح أنه مع سقوط الإمبراطورية وإعلان النظام الجمهوري 4 سبتمبر 1870 انفتح الطريق أمام المستوطنين الأوروبيين ليحكموا قبضتهم أكثر على الأهالي ويصلوا إلى قمة نفوذهم وسيطرتهم[2].

ملحين على أن إرادتهم هي التي يجب أن تنتصر، ساعين لتقويض النظام العسكري مشجعين الاستيطان دون أن يقيموا وزنا للمسلمين، فبرزت النوادي ولجان الدفاع والتي كانت جلها من مبعدي 1848، كلهم رغبة في إدارة أمورهم بأنفسهم[3].

ذلك الذي أذعنت له فرنسا الاستعمارية باعتبار أنهم رأس الحربة بالنسبة للاستعمار فقبلت بمطالبهم وجلبت أكبر عدد ممكن منهم بعودتها لطريقة بيجو في الاستيطان الصغير مدنيا (الإسكان والملكية الصغيرة والمساعدة على بناء المراكز وتقديم الأرض مجانا" [4]، بل إنهم تمكنوا من شراء ما بين 1909- 1917 ما مجموعه 427000 هكتار، إنها الفترة الأقوى التي حقق فيها الكولون مشتريات ضخمة بفعل الثراء الذي وصلوا إليه[5].

سعي الإدارة الاستعمارية تطبيق الاستيطان الرسمي وصول إلى تكوين مجتمع من أصل فرنسي ليحل محل المجتمع القروي بالجزائر، وهو يرى الأقلية الكولونيالية في حاجة إلى أن تصل إلى كثافة سكانية معتبرة وذلك بالحث على هجرة جديدة لنتمكن من إرساء قواعد هيمنتها، خاصة على المناطق التلية[6].

إصرار وعناد يقول فرحات عباس لتبديل الأهالي الجزائريين بسكان أوروبيين، لخلق نظام اجتماعي مسيخ، فتح المجال لعنصرية مزمنة، زادتها فظاعة وازدهار قوانين استثنائية سنها المستعمر

---

[1] - Ernest Mercier, Le cinquantenaire d'une colonie, l'Algérie en 1880, paris, 1880, p : 80.

[2] - يحي بوعزيز، سياسة التسلط، مرجع سابق، ص: 31.

[3] - شارل روبير أجيرون، مصدر سابق ، ص: 72.

[4] - صالح عباد، مرجع سابق، ص.ص: 68- 69.

[5] - شارل روبير أجيرون، مصدر سابق ، ص: 90.

[6] - جمال خرشي، مرجع سابق، ص.ص: 337- 338.

المجلد : 12/ العدد : 02 / الشهر: أوت/ السنة: 2020 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

لفائدة أبنائها على حساب الشعب الجزائري وذلك طيلة أكثر من قرن [1]، وحتى يتحقق ذلك وفي مدة لا تتجاوز خمسة أشهر يقول "روبير أرون" أصدرت الحكومة 58 مرسوم تقضي بتدعيم مكانة المعمرين في هذا البلد[2].

وبالنظر لأهمية السلاح في الجزائر الفرنسية ضمن الدفاع عن النظام القائم والحفاظ على ديمومته عبر تشريع تمييزي غير عادل تظهر جيداً إرادة الحفاظ على السيطرة المعمرين لذلك سمحت لهم بحيازة السلاح لكل المعمرين الفرنسيين من أصل أوروبي، وبذلك تصبح دولته تدافع عن عرق غالب يمكنه التسلح للاحتفاظ بالقوة على سيطرته ضد عرق مغلوب [3]. ومن أجل توحيد هذا المجتمع الأوروبي الناشئ، سمح لهم قانون صدر بتاريخ 26 جوان 1889 لهؤلاء الأجانب بالتجنيس التلقائي، يقول فرحات عباس وشيئا فشيئا تجذرت في المستعمرة طبقة ذات حظوة وهيمنة [4]. في دولة الحق للفرنسيين والأوروبيين الأقل عددا، ودولة القمع والاستثناء الدائم للأهالي الأكثرية، هذا ما وصل إليه أوليفي لوكو غرانميزون انطلاقا من نظرة منظريهم كالأستاذ "أوغستين بيرنارد" والذي رأى أنه يجب الاهتمام بالمعمرين باكتسابهم مزايا ويجب الدفاع عنهم "إلى جانب ما صرح به "أليكس دي طوكفيل": "وضع قانون للأوروبيين وآخر للعرب" [5]. لم تكن فقط لتحكيم البنى الاجتماعية والثقافية التي تركز عليها حياتهم، بل كانت تهدف إلى تغيير ملامح حضارتهم وطمس تاريخهم والمساس بقيمهم الدينية والخلقية، ذلك أن الجانب الحصين الذي يمثل الركيزة التي يقوم عليها المجتمع الجزائري، لتحل محلها الثقافة الفرنسية، ثقافة المتغطرس الغالب التي بقيت تتسع وتنمو مع اتساع ونمو الحركة الاستيطانية[6].

---

[1] - فرحات عباس، ليل الاستعمار، مصدر سابق، ص: 53.

[2] - Robert Aron, Les origines de la guerre d'Algérie, édition, Fayard, paris, 1962, p : 49.

[3] - أوليفي لوكو غرانميزون، مرجع سابق، ص: 327.

[4] - فرحات عباس، الشاب الجزائري، مصدر سابق، ص: 182.

[5] - أوليفي لوكو غرانميزون، مرجع سابق، ص: 329.

[6] - مجاود محمد، أبعاد وآثار الاختراق الاستعماري الفرنسي في منطقة بلعباس، ملتقى وطني من 12- 13 نوفمبر 2001، جامعة سيدي بلعباس، حول تاريخ المنطقة خلال الفترة الاستعمارية 1830- 1954، الجزء الثاني، مكتبة الرشاد، الجزائر، 2008، ص: 10.

المجلد : 12/ العدد : 02 / الشهر: أوت/ السنة: 2020 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

ومهما اختلفت توجهاتهم وتصوراتهم للوسائل التي يجب استعمالها، إلا أنهم يتفقون جميعا باستعمال ما يبدو لهم مناسبا من وسائل اتجاه العربي، المفترس المخيف بمحاربته ومطاردته دون رحمة، يخلص أوليفي لوكو غرانميزون أن: " لا شيء سوى اتخاذ إجراءات قاسية اتجاه "الأهالي" من أجل تصفية كل الأراضي منهم للحفاظ على أمن الجنود والمعمرين"[1].

لكنه وفي الواقع أن الجزائر الكولونيالية البنت المتبنية من قبل فرنسا يقول جمال خرشي قد كبرت وترعرعت وبدأت تشعر بذاتها وبهويتها وكان هذا الشعور بالذات والوعي بالهوية أبرز بصمات جديدة أدت إلى ظهور نوع آخر جديد من التفكير الكولونيالي في سياسة فرنسا نحو الجزائر متمثل في محاولة فرض توجيه استقلالي أكثر منه استيعابي واندماجي أي سعيهم جاهدين إلى الانفصال عن فرنسا الأم"[2]. ذلك ما وصل إليه فرحات عباس قوله: " كلما ازداد الاستيطان الأوروبي نمواً كلما فقدت فرنسا سيطرتها على ما كان يسمى بـ"السياسة الأهلية" حيث كانت المستعمرة هي التي تملي بنفسها تلك السياسة[3]. فبرزت الدولة الاستعمارية من خلال القانون الذي أسسته على العنف والعقوبة والخوف على أنها إرادة فرض سيطرة الأقلية المعمرة على الأغلبية المستعمرة"، يضيف أوليفي لوكو غرانميزون: " أنهم كانوا يرون خلاص المستعمرة هو القانون الأسمى، هكذا كان يفكر أنصار الجزائر الفرنسية [4]. ومنها بدءوا في مناهضة فرنسا في الكثير من القضايا التي لم تكن لتحافظ على زيادتهم، تضايقوا من الحكم العسكري وطالبوا مساواة الجزائر قانونيا بفرنسا ليتمكنوا من فرض حكمهم المدني وبالتالي زيادة مكاسبهم السياسية والاقتصادية[5].

طالبوا بحق إدارة الجزائر بانفسهم وعقدوا لذلك مؤتمرا جزائريا منتخبا، أعلن فيه أن يتداول فيه المستوطنون جميع الأمور ذات الطابع السياسي المالي [6]. وعليه قام هذا النظام على مقومات عنصرية وعلى نظامين قانونيين وسياسيين أحدهما يعامل به المعمرون الذين يتمتعون بكامل الحقوق

---

[1] - أوليفي لوكو غرانميزون، مرجع سابق، ص.ص: 113- 114.

[2] - جمال خرشي، مرجع سابق، ص: 352.

[3] - فرحات عباس، تشريح حرب، مصدر سابق، ص: 13.

[4] - أوليفي لوكو غرانميزون، مرجع سابق، ص.ص: 280- 287.

[5] - أحمد الخطيب، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص: 18.

[6] - شارل روبير أجيرون، مرجع سابق، ص: 49.

المجلد : 12/ العدد : 02 / الشهر: أوت/ السنة: 2020 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

السياسية التي يضمنها إعلان الثورة الفرنسية والآخر ينفذ على العرب الخاضعين لقانون غير عادي تمييزي يكرس وضعيتهم الدنيا على الدوام ودون استثناء[1].

هشاشة البناء الذي وضع على نحو بعيد يقول فرحات عباس عن أية قاعدة للعدل شبهه بقصر فخم يبنى لفرنسيي الجزائر والذي يريد به تلك السياسة الاستعمارية التي استمرت في الماضي هل ستستمر، يجيب أن القصر لن يكتمل بناؤه[2].

ومع مرور الزمن يقول فرحات عباس: " أعتقد أن الأقليات الاستعمارية التي حكمت البلاد والملاك الذين كان لهم بواسطة لوبياتهم اليد العليا على الرأي العام في الجزائر وفي فرنسا قد اختاروا الحل الأسوأ عوض تقاسم السلطة مع أهل الأرض الأصليين"[3].

[1] - أوليفي لوكو غرانميزون، مرجع سابق، ص: 24.

[2] - فرحات عباس، الشاب الجزائري، مصدر سابق، ص: 129.